الشعر العـبري الأندلسي
في الدراسات النقدية الحديثة

Hebrew Andalusian Poetry
in the modern Criticism studies

إعداد الدكتور

صالح عيظة الزهراني

Saleh Eiza AlZahrani

أستاذ مشارك، الأدب والدراسات الأندلسية

قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة الملك سعود ، الرياض، المملكة العربية السعودية

الشعر العبري الأندلسي في الدراسات النقدية الحديثة

صالح عيظة الزهراني

قسم الأدب والدراسات الأندلسية، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود ، الرياض، المملكة العربية السعودية

البريد الالكتروني:salalzahrani@ksu.edu.sa

الملخص :

ينوي الدرس الحاضر مساءلة شريحة مهمة من قراءات الباحثين المختصين في الأدب والدراسات العبرية، ينتمون لمؤسسات أكاديمية متعددة ومشارب فكرية متنوعة، ساهمت في تباين زوايا نظرهم حيال الشعر العبري الأندلسي. ووفقًا لاستقراء عام لهذه الشريحة ونتيجة له؛ تنزلت الدراسة في قسمين أساسين: أحدهما يناقش القراءات المختلفة لمادة العمل كالنسقية والسياقية، والآخر يسلط الضوء على ظاهرتي كسر أفق التوقع والتأويل فيها؛ لكون هذين القسمين ،من وجهة نظر البحث، أوضح ما يمثل هذه المقاربات في مجملها. وقد اتبعت الدراسة منهجًا وصفيًا تحليليًا يتبنى إجراءات نظرية التلقي، ويفيد أيضًا من المناهج النقدية المختلفة التي يمكن تلمسها في أثناء صفحات الدراسة؛ بغية إعطاء القارئ لمحة واعية عن مواطن جاذبية الشعر العبري بالنسبة لهؤلاء النقاد، ومداخلهم إليه، وطرائق اشتغالهم به.

وأبانت الدراسة عن دور المنهج المقارن في تلقي الشعر العبري الأندلسي وضرورته لدى الناقد الحديث. ولهذا جاء الاتكاء على الإرث الأدبي العربي منطقيًا في مقاربة هذه النصوص، من حيث إن الثقافة الأندلسية عربية اللسان على كل حال. ويمكن القول بأن التلقي المقارن شكل محورًا في غير قليل من دراسات النقاد في الشريحة المرصودة.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الشعر العبري، التلقي، الدراسات الحديثة.

Hebrew Andalusian Poetry in the modern Criticism studies

Saleh Eiza AlZahrani

Department of literature and Andalusian studies – Arabic studies Section – faculty of humanitarian and social studies

King Saoud university – Riaydh – kingdom of Saudi Arabia

Email: salalzahrani@ksu.edu.sa

Abstract :

This study aims to examine the level of some important readings of the scholars specialized in the Hebrew and Literature studies , who are belonging to a specific and some academic associations and other area of different and variable thoughts as this study has focused on the differentiation of the point of view regarding the Anadalusian Hebrew poetry as according to the induction studies this levels and its results has reached to into two major parts ; one is discussing the different subjects of harmonization and the parallel and the other one is focusing on the two phoneme the breakdown of prediction and other sayings as both of those parts from the point of the view of the researcher has identified to the narrow in all overwhelming and then the study has focused on the inductive analytical methodologies which adopted the procedures of the theory of counterpartyed as the different study of the criticism has touched the Hebrew poetry in relation to the Criticizers and its entries and the methods of

processing

As this study has demonstrated the role of comparative studies in receiving the Hebrew Andalusia poetry and their necessities for the modern criticizers therefore the study has relied on the Arabic Literature heritages logically in nearing the texts, as from the point of that the Andalusia literature and culture is Arabian in all generally as we can say that the nearing in comparison is a core of some and few criticized studies from the criticism studies in the mentioned levels

Keywords : Andalusia , Hebrew Poetry , Nearing , Modern studies .

المقدمة

شاع في الدرس الأندلسي عند لفيف من الباحثين وعي منقوص للهوية الأندلسية، بردها إلى طيف وحيد أو مكون بعينه هو المكون العربي الإسلامي. وهذا وإن وقع موقع الرضا –غالبًا–في نفس القارئ العربي على وجه الخصوص؛ يعد اجتزاء لا يحتكم لضرورة بحثية ولا منطقية علمية؛ إذ لا يمكن فهم الأندلس إلا عبر مجموعه التاريخي والحضاري الذي انصهرت في بوتقته مختلف الأجناس والديانات والثقافات. وعليه فالأندلسي–إنسانًا وحضارة–هو العربي والبربري والأوروبي والمسيحي واليهودي والمسلم مجتمعين، ولا وجاهة لإقصاء عنصر لمصلحة آخر ما دمنا نتوخى سلامة المنهج ومعقولية النتائج. وحين نمعن النظر في الثقافة اليهودية العبرية، نلفيها في أقلام الدارسين العرب وغير العرب، قد ألجئت–بقصد أو بدون قصد–إلى هامش من الموضوعية صوّرها ثقافة أقلية مضطهدة ومنكفئة على ذاتها، في عزلة تامة عن محيطها الثقافي والحضاري.

ونعني بالقصدية أثر جملة من الدارسين (خاصة العرب) الذين اختاروا التغافل عن هذا المكون لخلفيته اليهودية، إما تعصبًا ضده، أو رغبة في النأي عن مواطن الانتقاد ناشدين السلامة التسويقية والأكاديمية. وبدون قصد، أولئك الذين قصرت معرفتهم بأهمية هذا العنصر في الثقافة الأندلسية، وينسحب ذلك على كل الدارسين المشمولين بهذه الصفة عربًا كانوا أو أجانب. وجملة القول هنا أن المكون اليهودي الأندلسي لم يستوف العناية المستحقة من طوائف الدارسين المكترثين بالحضارة الأندلسية من جهة أصالته وإسهامه فيها.

ولعل فتح نافذة على الأدب العبري (الشعري منه خاصة)، كفيل بكشف خطل ذلك التجاهل، وبأهلية التوفر على هذا الأدب ضمن مشروع العناية بالأدب الأندلسي عمومًا؛ فيكون جزءًا منه دون أن يتعارض مع خصوصيته التي

لا تخرجه بالضرورة من هذا الانتماء الأندلسي. وفي الدراسة الحاضرة نسائل شريحة من تلقي نقاد العصر الحديث للشعر العبري الأندلسي، فننظر في مسارات هذا التلقي وزوايا نظر الدارسين لهذا الجنس الأدبي، ومدى وفائه لأندلسيته. والشريحة المعدة لهذه الدراسة مجموعة من المقالات العلمية المحكمة لكوكبة من الدارسين المعتبرين من شتى أنحاء العالم، صدرت في كتاب عن جامعة غرناطة باللغة الإسبانية، وهي اللغة التي سأتعامل معها؛ بحكم معرفتي بها[1].

اختيار الموضوع ومنهج الدراسة

جاء اختياري لهذا الموضوع لعدة أسباب؛ منها عنايتي بالأدب الأندلسي والدراسات الأندلسية، وفضولي بشأن الأدب والشعر العبريين، ورغبتي في التعرف على اتجاهات الدارسين ومساراتهم في قراءة هذا الأدب وتحليله، متخذًا من الوصف والتحليل وإجراءات التلقي وما يستلزمه؛ سبيلًا لمقاربة هذه المقالات النقدية. وبهذا أرجو أن أفي بشيء مما أدين به لهذا الحقل المعرفي الأثير، طامعًا في إعادة الاعتبار -بحثيًا وعلميًا- لواحد من أهم أطياف الأندلس ومكوناته.

الدراسات السابقة

لم أفلح في العثور على دراسة تستهدف تلقي الشعر العبري الأندلسي في الدراسات الحديثة، وهو ما يولي البحث الحاضر أهمية خاصة في رأيي، من حيث هو مبادرة تحاول استظهار قيمة هذا الشعر من جهة، ورصد مكامن

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*. Granada, 2003.

الإغراء التي دفعت الدارسين إليه، من جهة أخرى. كذلك، وبنظرة إجمالية، فحتى الدراسات التي تعالج النصوص الشعرية العبرية الأندلسية تبدو أقل من المأمول نسبيًا، خاصة ما حرر منها بالعربية، وهو حكم يقترب من الصواب على الرغم من غياب إحصائية رقمية دقيقة تؤكده.

في التلقي

للتلقي معضلاته التي قد تؤول به إلى شيء من الفوضى التأويلية والمفهومية. ومن أهم هذه المعضلات تغاير السياق بين النص والقارئ أو المبدع والمتلقي؛ فالتلقي المعاصر قد يصدم بفجوة كبيرة تعزله عن النص التراثي، ما يسهم في تسطيح القراءة أحيانًا أو حتى اعتسافها.

وليس المبدع هو المعول عليه في هذه الحالة بالدرجة الأولى؛ فهو قد ألقى عصا الترحال وسلم الراية وأتم المهمة، وبقي النص يترقب دور القارئ لاستنطاقه واستجوابه. ومن المعلوم أن كفاية المتلقي المعرفية ومواهبه الفكرية؛ ضمانة لسد الثلمة الزمنية بين عصر الكتابة وعصر التقبل، وهذا شرط أساس لاستقامة التلقي في إجراءاته ونتائجه؛ لأن فعل القراءة إنتاج، لا محض استهلاك للنص ليتورط القارئ في استقباله وتأويله.

وما دام هذا هو الحال، فعدة القارئ لاقتحام النص وافتتاحه تقتضي أولًا معرفته بروافد التلقي نفسه وإرهاصاته؛ فقد نهض التلقي على اتجاهات فكرية وفلسفية أسهمت في بلورة نظريته وتشكيلها. فهو ينطوي بالدرجة الأولى على ردة فعل ضد المناهج النقدية الحديثة، السياقية منها والنصية على حد سواء، بجريرة تهميشهما دور القارئ في عملية الاستجابة، فكان أن أظفر القارئ بناصية النقد فجعله المدار والمحور. لكن هذه القطيعة لم تحجب النظرية عن الإفادة من هذه المدارس في تكوين بعض ملامحها؛ فالبنيوية التي رفض التلقي منها فكرة انحباس المعنى في النص؛ قبل منها شمولية النص التي تدفع القارئ لتلقيها

بالنظر لمعطى التناسق والانسجام فيها[1]. أما التفكيكية فمن الواضح أثرها على نظرية التلقي؛ فالتوليد اللانهائي للألفاظ والمعاني يقتضي تأويلات لانهائية على المتلقي الاضطلاع بها، ليرتمي في "هذه العوالم التي لا تكاد تنتهي"[2] وهذا حجر الزاوية لعملية القراءة كلما أمكن ذلك.

أما البذور الفلسفية لنظرية التلقي، فيمكن الارتداد بها إلى أعماق الفكر اليوناني القديم، حين انشغل السفسطائيون بالإنسان ونصبوه مقياسًا لكل شيء، وجعلوا المتلقي وسيلتهم لصقل الخطاب، واتخذوه محورًا لصناعة العمل وإحداث التأثير، وصولًا لأرسطو الذي عقد فكرة التطهير على المتلقي بوصفه هدف التراجيديا وغاية التطهير[3].

ومن الفلسفات الحديثة التي أرهصت للتلقي فلسفة الظاهراتية التي بوأت المتلقي منزلة الصدارة في عملية الاستجابة والوعي ومن ثم الإنتاج، فغدا بذلك قطب الرحى في مشروع القراءة. ويذكر أن مصطلحي "المتعالي" و"القصدية" من أبرز مصطلحات الظاهراتية تأثيرًا في نظرية التلقي؛ ويعني الأول أن المعنى منوط بالفهم الفردي تحديدًا، ويعني الآخر الفعل الذي ينتج المعنى، وكلاهما مرتبط بالمتلقي وموقوف عليه. ولقد أشار انغاردن في حديثه عن أثر الخبرة الجمالية في الحكم على العمل الأدبي؛ إلى ضرورة الإدراك عن طريق قراءة

---

١ صالح، بشرى، نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١١، ص ٤١.

٢ سحلول، حسن مصطفى، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١، ص ٩١.

٣ خضر، ناظم، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، عمان: دار الشروق، ١٩٩٧، ص ص ٢١-٤٠

النص الأدبي الفردي قراءة فردية أيضًا تعي عناصره، وبالتالي يمتلك القارئ القدرة على ملء فراغات النص، وهو المفهوم الذي طوره آيزر لاحقًا[١].

ومما أفادته نظرية التلقي من الظاهراتية مفهوم "أفق التوقع" عند ياوس؛ فهو تطوير لفكرة الأفق reference عند غادامير، التي تعني أن التاريخ انصهار للأفق الحاضر في الأفق الماضي، ليزيد ياوس فكرة المسافة الجمالية التي تعنى المسافة الفاصلة بين ظهور العمل الأدبي وأفق انتظاره[٢]؛ فيكون رهان جمالية النص في مدى قدرته على مخاتلة هذا الأفق وخداع توقعات القارئ والانزياح عن رصيده المعرفي السابق، وإن كان ذلك لا يكفي دائمًا للحكم على فنية العمل؛ نظرًا لصعوبة قياس هذه المسافة الجمالية كما يرى بعض نقاد التلقي[٣].

وأفق التوقع أو الانتظار هو محور الكتابة والتلقي في آن واحد؛ فالكاتب يتوخاه ليكسره والقارئ ليرصده ويحكم على العمل من خلاله، وهو شرط اللذة

---

١ توفيق، سعيد، الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٢، ص ص ٢٩ وما بعدها؛ خضر، ناظم، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ص ص ٧٩-٨٠.

٢ صالح، بشرى، نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، ص ٣٩؛ وانظر الواد، حسين، "من قراءة النشأة إلى قراءة التقبل"، مجلة فصول، المجلد ٥، العدد ١، ١٩٨٤، ص ص ١٠٨-١٢٠، ص ١١٨. وانظر ياوس، روبيرت هانس، نحو جمالية للتلقي، تر: محمد مساعدي، المغرب: مركز الأبحاث السيميائية والدراسات الثقافية، الطبعة الإلكترونية، ٢٠٢٠، ص ٦٣ ومابعدها.

https://shortest.link/boMF

٣ هولب، روبرت، نظرية التلقي، تر: عز الدين إسماعيل، جدة: النادي الأدبي، ١٩٩٤، ص ص ١٦١-١٦٢.

التي يشيعها النص كما قال بارت عما سماه نص المتعة: "هو الذي يضع في حالة من الاستلاب...يهز الثوابت التاريخية والثقافية والنفسية لدى القارئ..."[١]. لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا، ما الشروط التي على المتلقي تحقيقها ليكون مؤهلًا لرقابة أفق التوقع ورصد انكساره في العمل الذي يتناوله؟ والواقع فلا تبدو الإجابة عن هذا السؤال كثيرة الصعوبة، ولعلنا نستعير حديث نبيلة إبراهيم وهي ترد المسألة برمتها للسياق المنتج للنص: "فإذا كان القارئ معايشًا لظروف العمل الأدبي، اقترب أفق التوقعات من هذا العمل. أما عندما يكون العمل قديمًا، فإن القارئ يخلق لنفسه أفقًا لتوقعات تتفق مع الزمن التاريخي للنص، فاذا لم يتح العمل القديم هذا للقارئ، فإنه لن تكون له فعالية في القارئ المعاصر، ويصبح عندئذ من قبيل الأشياء التي عفا عليها الزمن. وخلاصة القول أن نظرية الاستقبال تعنى بالحكم على النص في ظروف تاريخية معينة"[٢].

هذا الجواب يبدو منطقيًا ومقنعًا، وإن كان شرط الدنو من أفق التوقع للنص القديم لا يبدو من السهولة بمكان ولا يضمن –بالضرورة –سلامة القراءة، ما قد يعصف بعملية التلقي ويفضي إلى نتائج خاطئة. والمعول عليه بالجملة، حصافة القارئ وحدسه وعمق تكوينه الثقافي وخبرته كما أسلفنا، وعلى هذا فلا غرابة أن يصنف بسام قطوس–في سياق احتفائه بفكرة ما يسميه بالنص المتمنع– هؤلاء القراء إلى ثلاثة أصناف: حامل ومحمول وعاجز. فالحامل هو الخبير القادر على ملء الفراغات النصية وممارسة التأويل، بينما يقصر عنه

١ بارت، رولان، لذة النص، تر: محمد البقاعي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨ ص ٢٥.

٢ إبراهيم، نبيلة، "القارئ في النص، نظرية التأثير والاتصال"، (ترجمة فؤاد كامل)، مجلة فصول، المجلد ٥، العدد ١، ١٩٨٤، ص ص ١٠١–١٠٨، ص ١٠٢.

القارئ المحمول وتخور دونه قوى القارئ العاجز[١].

ومن حسنات هذه النظرية أنها تجاوزت مسألة التلقي أحادي الاتجاه؛ أي ذلك الذي تسلك فيه عملية الاتصال مسارًا واحدًا لا يؤمن بالانعكاس، فتكون من النص للقارئ كما هو الحال في المرهصات السابقة. إن السبيل المزدوج الذي يفرض عملية الاتصال بين النص والقارئ والقارئ والنص، هو جوهر نظرية التلقي ومظنة النجاعة لعملية القراءة؛ إذ يمارس القارئ الخلق الأدبي ولا يبقى في تخوم الاستقبال الفارغ أو العقيم الذي لا يساهم في إنتاج النص وتكوينه.

في ضوء ذلك سك آيزر واحدًا من أهم مصطلحات التلقي وهو "القارئ الضمني" الذي –وإن كان افتراضيًا لا يتمتع بوجود على أرض الواقع–؛ يظل مثاليًا ونموذجيًا، وتكمن أهميته في تسديد الكاتب نحو استبطان ردة فعل القارئ، وبالتالي موضعة النص وفقها، وتوجيه المستقبل إليه لمد جسر من الحوار والتواصل معه[٢]، وليس من العسير على المتلقي الحصيف الظفر بهذا القارئ الضمني وقت القراءة. والواقع أن آيزر استقى فكرته عن القارئ الضمني من خلال طروحات سابقيه كمفهوم وين بوث عن المؤلف الضمني، وريفاتير عن القارئ المتميز، وفيش عن القارئ العليم[٣].

---

١ قطوس، بسام، تمنع النص متعة التلقي، قراءة ما فوق النص، عمان: أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص ٣٢.

٢انظر إبراهيم، نبيلة، "القارئ في النص"، ص ١٠٢؛ صالح، بشرى، نظرية التلقي، ص ٤٩ وما بعدها.

٣انظر آيزر، فولفغانغ، فعل القراءة، تر: جميد لحمداني والجلالي الكدية، الدار البيضاء: النجاح الجديدة، ١٩٩٥، ص ص ٢٠–٣٥؛ إسماعيل، سامي، جماليات التلقي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢، ص ١٢٤ وما بعدها؛ خضر، ناظم، الأصول المعرفية =

وكما هو ملحوظ، فنظرية التلقي أخلاط من مفاهيم ومدارس فكرية وفلسفية، كان فيها فعل القراءة –على الأرجح– هامشًا لا متنًا، ليستقيم هذا الفعل بعد ذلك أساسًا يدور عليه النقد، بفضل جهود منظريها. والتحدي ليس في فهم هذا التنظير وأصوله ومقدماته، بقدر ما هو كيفية توظيفه في قراءة النصوص النقدية، وممارسة نقد النقد، في ظل ما يمكن أن تدركه عناية المتابع من قصور بعض المقاربات في توظيف النظرية وإجراء مصطلحاتها على المادة المستهدفة، ما يعطي انطباعا أن مسألة الإفادة من إجراءات التلقي ليست من السهولة بمكان ويلزمها قارئ رزين في قراءة القراءة أو نقد النقد، أو يستحيل الأمر إلى مجرد وصف وتعليق على المادة المحشودة للدراسة.

الشعر العبري الأندلسي في الدراسات الحديثة

أولًا: طبيعة الأدب العبري الأندلسي وسياقاته

إن التقييد الحاصل بلفظ "الأندلسي" حين الإشارة إلى الثقافة العبرية عمومًا؛ لا يحيل لمجرد مرجعية مكانية بقدر ما هو سياق ثقافي شمولي. فبالرغم من سبق اليهود للعرب في الأندلس من حيث استيطان شبه الجزيرة الإيبيرية؛ لم يجدوا بدًا من الانخراط سريعًا في الثقافة الجديدة ليصبحوا أحد أبرز مكوناتها وجزءًا مهمًا من هويتها، دون التخلي بالضرورة عن هويتهم اليهودية الموازية. وعليه، فليس من الغرابة ولا الزلل القول بأن الأدب العبري هناك–سيما الشعري منه– أندلسي يضاف لسائر أدب الأندلسيين وشعرهم المكتوب بالعربية. والشعر العبري في أيسر تعريف له هو ذلك الشعر المكتوب بالعبرية أو بالعربية لشعراء عبريين في شبه الجزيرة الإيبيرية خلال المرحلة التاريخية المعروفة بـ "الأندلس"،

= لنظرية التلقي، ص ١١٢ وما بعدها.

ومن يتأمل هذا الشعر لا يخطئ التشابهات من حيث الأغراض والموضوعات والصور وحتى الأشكال الشعرية. فهناك المدح والغزل، وشعر الطبيعة والخمريات، والوصف، والزهد، والإخوانيات، وكذلك الموشحات والأزجال، والحب العذري والصوفي، وغير ذلك[1]. هذا الحكم يبدو رائجًا في أوساط كثير من الدراسين، يستثنى من ذلك بعض الآراء التي تلح على فرادة الثقافة العبرية عن العربية هنالك في الأندلس، مستدلة بمؤشرات عامة كضدية العبرية للإسلام مثلًا[2]، وهو الأمر الذي قد لا يحصد قبولًا واسعًا بين المتخصصين.

ومن الأمثلة العبرية الأندلسية يمكن استدعاء الشاعر اليهودي ابن سهل على سبيل المثال؛ فهو من شعراء اليهود الذين نظموا قصائدهم بالعربية، ولا تكاد تحس بأية فوارق بين أبياته وسائر الشعر الذي كتبه أندلسيون آخرون، لا من حيث الفكرة ولا الشكل الشعري ولا اللغة، ما يعزز فكرة الأصالة الأندلسية للأدب العبري على وجه العموم.

ولكي نعي هذا الإطار الأندلسي الجامع، علينا أن نتفهم كونيته وشموليته؛ تلك المرتهنة بتعدد المرجعيات والخلفيات التي لا تزال عامل الإثراء الأول له. فمن مظاهر الأدب العبري الأندلسي وخاصة الشعري منه، اتكاؤه على مرجعيته

---

١ انظر الخالدي، خالد يونس، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، الطبعة الإلكترونية الأولى، ٢٠٠٨، ص ص ٢٥٥-٢٧٤.
https://www.academia.edu/42865553

2 Brann, R. "Reflexiones sobre el árabe y la identidad literaria de los judíos de al-Ándalus." En Judíos y musulmanes en al-Ándalus. Actas reunidas y presentadas por M. Fierro. Madrid: Casa de Velázquez, 2002, 13-28; p.28.

الدينية؛ فكثيرًا ما تجد الشاعر العبري–كما سنرى– يلجأ لنصوص التوراة فيستعير منها صوره ورموزه، حتى غدت علامات فارقة في تشكيل نصوصه. سنلحظ في هذا الشعر كذلك انعكاسًا لأهم القضايا اليهودية، كقضية النفي التي وظفها الشعر في غير موضوع أو غرض شعري، دون أن يعني ذلك إلغاء المرجعية الأم وهي الأندلسية.

ومن صور هذا الإثراء في إطاره الأندلسي، التفات الشاعر العبري الأندلسي إلى نوع من التصوير الفريد لا نجد له نظيرًا في صنوه الشعر العربي الأندلسي. ومن هذه الصور مثلًا، تشبيه العالَم بالبيضة والإنسان بالبياض داخلها، وكذلك تشبيه الخيول بالغيوم، وتشبيه أثداء النساء بالحراب[1]. وهذه الانفرادات تستحق أكثر من مجرد إشارة عابرة، لكن غرض الدراسة ومساحتها لا يتسعان للبسط، ولعل فرصة قادمة توفيها حقها.

والفاحص للشعر العبري الأندلسي، يلفيه قد تأطر بسياقات متعددة ساهمت في تشكيله، ومن أهم هذه السياقات السياق الاجتماعي الذي فرض على الشاعر التعبير عن أوضاع أقليته ومشكلاتها. ومنها السياق السياسي، خاصة لدى بعض الشعراء المتورطين في متاهات البلاط كإسماعيل بن النغريلة مثلًا، الذي كان بعض شعره صدى مدويًا لصراعاته مع خصومه في الداخل والخارج، وهو ما يمثل لسان حال اليهودي الأندلسي عمومًا حيال المتغير السياسي من حوله. ومنها السياق الثقافي الأدبي الذي لفت الشاعر والأديب العبريين لضرورة تطوير الشعر العبري ورفده بروافد فنية تأثرت بالدرجة الأولى بالشعر العربي

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus,* pp. 100, 59, 254.

الأندلسي، فقد أفاد بعض الشعراء العبريين من العروض العربي، والمحسنات البلاغية العربية، وبعض موضوعات الشعر الأندلسي كالغزل الفاحش والغزل بالمذكر وغير ذلك، مما سنشير إليه في قادم الصفحات.

ثانيًا: مناهج تلقي الشعر العبري الأندلسي وظواهره:

وقف نقاد الشريحة المنتخبة للدراسة على مسافة مختلفة إزاء الشعر العبري، وتباينت رؤاهم في مقاربته، فجاءت أعمالهم متنوعة تسبر النص من الداخل أحيانًا وتميل على السياقات الخارجية أحيانًا، وتستعين بالدرس المقارن في مواضع، وبالاتجاه النسوي في مواضع أخرى.

من طرف آخر، يمكن في هذه الشريحة التقاط بعض الظواهر التي يمكن تناولها في إطار التلقي، كأفق التوقع وخيبة الانتظار والتأويل وغيرها. وما يمكن التأكيد عليه في هذه الشريحة أيضًا هو ندرة الدراسات التي تمحض الجهد نحو منهج بعينه؛ فقد تتعدد الرؤى في العمل الواحد مع تفاوت بين في درجة حضورها.

أ. القراءات:

-**القراءة السياقية:** في مواقع بارزة في هذه الدراسات، يلحظ الالتفاف حول السياق الثقافي عمومًا، بقصد فهم الشعر العبري واستيعاب دوافعه. ولا ارتياب في أن البيئة الاجتماعية شكلت مدخلًا لدراسة هؤلاء النقاد للشعر العبري على اعتبار أن الشاعر في الأصل هو ابن بيئته، ومنها يستمد طاقاته الإبداعية. ويتصل بهذا ما تتضح به أقلام هؤلاء النقاد من نزعة للاستعانة بالأفق التاريخي في مقاربة الشعر العبري محكومة بدوافع عدة.

من هذه الدوافع الرغبة في خلخلة سلطة النمط الذي لاحق الأمة اليهودية إجمالًا، وفي هذا الصدد يقول روس براند (Ross Brann) في بحثه الموسوم بـ "الشعر في الثقافة الأدبية العبرية في الأندلس": "حينما نفكر في الحياة اليهودية في العصر الوسيط، تتراءى أمام أعيننا صور قاتمة لمجتمع وثقافة يسودهما الورع الديني والاضطهادات. ومع ذلك، فتلك التمثيلات لا تتناسب مع التعقيد والحيوية والإبداع الذي أحرزته الثقافة العبرية في إيبيريا في

العهد الوسيط"[1]، ثم يسوق نماذج ويعلق عليها. ويمضي الباحث في الدفاع عن الشاعر من الطبقة العليا وتأكيد أدواره الاجتماعية والثقافية؛ فهو ليس رهنًا للسياسة وخدمة البلاط أو للتوراة وتعاليمها الدينية، بل مظهره الأوضح الانخراط في الحياة الأدبية والاجتماعية العادية؛ فلربما كان "أديبنا النموذجي محاطًا بأشخاص مرهفين ...وبلغاء، يحسنون–مثله–الاستمتاع بغناء المطربين...؛ يعجبه أن يشعر بمغناطيسية تجاه اللون الحارق للنبيذ ...ومن الممكن أن يغازل–ببراءة–إحدى المغنيات الحسناوات..."[2]. هذا الاتكاء السياقي محاولة لانتشال الشاعر العبري من قاع العزلة الذي فرضته عليه الصور النمطية، ومنحه صفة المشاركة الاجتماعية والثقافية وأنه كان من الانفتاح بالقدر الذي لم يكن للعامل الديني سطوة حاسمة عليه كما كان يعتقد، وهي الفكرة التي تتبناها أيضًا دراسات نقاد آخرين كما ستبرهن الدراسة في صفحاتها التالية.

وإذا كان السياق أعان بعض الدراسين على مقاومة عقدة العزلة والتهميش القارة في نفوس كثيرين؛ فهناك من عمد –بقصد وبغير قصد–لإعادة بعث هذه العقد أو تعميقها عبر السياق ذاته. فقد لجأ بعضهم إلى فعل التأريخ بالشعر، لتكون أبيات الشاعر وثيقة تاريخية بالدرجة الأولى توثق صلة اليهودي بالمظلومية والإقصاء، ويبدو لي أن هذا الخط قد انتظم الشريحة التي ندرسها بتفاوت.

من هذه القراءات قراءة جوديت تارغارونا بوراس (Judit Targarona Borrás) في بحثها الموسوم بـ "إسماعيل ابن النغريلة، شاعر عبري في بلاط

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p.9.

2 Ibid., p.10.

الزيريين في غرناطة"، إذ اتخذت من شعره وثيقة تاريخية لأهم الأحداث التي أحاطت به كعلاقته الوطيدة بالملك الزيري وقيادته الشهيرة لحملة معركة ألفونت، مبينة كم الصعوبات التي تكبدها والتهديد الذي طاله من الداخل والخارج بجريرة كونه يهوديًا قبل أي شيء آخر. تقول عن توثيقه لمعركة ألفونت بعد أن ساقت كثيرًا من أبياته التي يشير فيها لجبهة أعدائه الداخلية الذين أصطدموا بثقة لا محدودة من الحاكم الغرناطة تجاه مخدومه : "لقد تحول ابن النغريلة لشاعر موثق بالعبرية، على استعداد أن يترك في أبياته شهادة الأحداث التاريخية، خاصة المعارك التي كان يشارك فيها سنويًا –من عام ١٠٣٨م إلى عام ١٠٥٦ م، وهو عام وفاته... هكذا أجاب [السلطان الغرناطي] على [رسالة أحد خصوم ابن النغريلة]: "إذا استجبتُ لما تطلب فعلي لعنة الله؛ إن سلمت خديمي لخصومه أصبحت روحي في قبضة أعدائي"[1].

وبالرغم من أن ابن النغريلة لم يحفل بوصف غرناطة مثلًا؛ تشير الباحثة إلى توثيقه الدقيق جدًا لحادثة الزلزال الذي أصاب المدينة وكيف استحال كارثة حقيقية بان تأثيرها على الشاعر وأهل المدينة: "لا يوجد في شعر إسماعيل بن النغريلة وصف واضح لمدينة غرناطة، ولا يقلد الشعراء العرب في وصف مدن إسبانيا، والجبال، والأودية، والتلال، لذلك تحظى بأهمية كبيرة هذه القصيدة

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p. 68.

- شيمويل اللاوي بن يوسف الناجيد، وفي العربية إسماعيل بن النغريلة (توفي بعد ١٠٥٦م) عالم وشاعر يهودي أندلسي، وزر للزيريين في غرناطة، يعد من أعظم الأسماء اليهودية في كل الأوقات.

التي يصف لنا فيها –بكل أنواع التفاصيل– زلزالًا..." [1].

ويبدو أن شخصية ابن النغريلة وموقعها الحساس في إمارة الزيريين بغرناطة، قد نصبته في عيون الدراسين نموذجًا تاريخيًا للشخصية اليهودية. ففي مقاربة آنخل ساينث–باديوس (Ángel Sáenz–Badillos): "شعر إسماعيل بن النغريلة التأملي"، يستعرض الباحث نصًا شعريًا مطولًا لابن النغريلة ويقدمه بوصفه وثيقة تاريخية اجتماعية لحياة اليهود الأندلسيين وأنشطتهم الخاصة؛ فيعدد الأشهر اليهودية ونشاط الناس فيها، إضافة لعرضه لحياة الشاعر نفسه ولمراحل عمر الإنسان عمومًا من خلال شعره هذا: " في قصيدة أخرى يعدد أشهر السنة اليهودية المختلفة، والأنشطة التي يزاولها الناس فيها في زمنه؛ ولواقعيتها فهي أيضًا وثيقة ذات أهمية تاريخية واجتماعية، تكشف في النهاية عن الروح الأرستقراطية لابن النغريلة وعن معتقداته "[2].

وكما أن للبعد التاريخي والاجتماعي حضورًا في تلقي الشعر العبري، يتراءى البعد النفسي كذلك بصورة لافتة في تضاعيف هذه الدراسات. والواقع أن الانقياد لهذا المنهج من قبل الدارسين له ما يفرضه بالاحتكام للمرحلة التاريخية والحالة الاجتماعية؛ فمن يقرأ الشعر العبري الأندلسي تحديدًا يجد الباعث النفسي وراء غير قليل من القصائد. لقد أحس اليهودي الأندلسي بوحشة داخلية مردها عقدتا الشتات والمنفى اللتان تلحان على وعيه ولا وعيه دائمًا، حتى دمغتا فكره ونتاجه بغير قليل من الارتباك النفسي في هيئة تشاؤم وشعور بالدونية وتهديد الوجودي.

---

1 Ibid., p.77

2 Ibid., p.103.

ومن صور هذا الاختلال النفسي الذي استثمرته بعض هذه الدراسات؛ ما يلحظ من ازدواجية الموقف التي أثرت في الانفعال الداخلي تجاه الحياة وانعكست على الشعر تحديدًا. فالشاعر اليهودي كان عليه احترام التقاليد اليهودية من جهة، والأخذ بأسباب الحياة الحضارية والنزعة للتحرر من جهة أخرى، ما جعله يرزح تحت وطأة الضغط النفسي.

نجد مثال هذا عند موسى ابن عزرا في قصيدة غزلية أطلق فيها العنان لغريزته وأفحش فيها، لكنه يخالطها بعناصر دينية توراتية ليخفف الحرج قليلًا، لكنها أبانت عن تلبك نفسي حيال الموقفين. وقد علق روس بران على ذلك بأنه من قبيل أن اللذة عند بعض الشعراء فريضة دينية! ولما عرض لقصيدة ابن النغريلة حين أتم خمسين عامًا، تناولها من جهة حساسيتها الوجودية والشعور بالقلق الذي اجتاح الشاعر، حتى تلبسته حالة من الشعور بالعدمية وعبثية الحياة: "لاحظ الأسلوب الفني الذي يعبر به الشاعر عن عبثية الزمن، مختصرًا السنين في أيام والأيام في ساعة، ثم لحظة، حتى تتوارى اللحظة بدورها:

قالت لي: "افرح، فالله بلغك الخمسين من العمر في هذا العالم"،
لكنها لا تدري أني لا أرى من فرق بين سنيني الماضية
وتلك التي قالوا لنا أن نوحًا عاشها
لا أملك شيئًا في العالم غير الساعة الحاضرة،
التي تقف لحظة ثم تفر مثل غيمة"[1].

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p. 15.

=

وفي موضع آخر يشير الباحث نفسه إلى الحالة النفسية التي تستحوذ على الشاعر العبري الأندلسي في هيئة مشاعر متناقضة أحيانًا؛ فمع حزنه العميق لحاله بوصفه يهوديًا، يظل يأمل في الخلاص الوشيك، كما يظهر في قصائد المنفى عند يهوذا حا–ليفي وغيره: " وعلى الرغم من كل العبقرية والرقة اللتين تميز بهما شعر اليهود السفارديم؛ لا نعدم فيه تعبيرات عن حزن دفين أو آمال حية في خلاص وشيك...في الشعر الطقوسي المنظوم لينشد في الكنيس اليهودي–تمامًا كما في القصائد الدينية المكتوبة لغرض التأمل الخاص–؛ كان ذل الحياة في المنفى حاضرًا على الدوام..."[1].

هذا المدخل النفسي كان منطلق باحثين آخرين كيهوشوا غرانات (Yehoshua Granat) في عمله "اعتبارات جديدة حول أول قصيدة خمرية عبرية أندلسية"، الذي يصادق فيه على ازدواجية شخصية الشاعر الأندلسي العبري؛ ففي الوقت الذي يحتد الشاعر دوناش بن لبراط مثلًا في رفض النبيذ، يصفه بحماسة كبيرة! وحين يوبخ صاحبه الذي يدعوه للخمرة، يقبل عليها ويسهب في تصويرها: " وعلى الرغم من أنه لا يتضمن حوارًا، فإن هذا المقطع يشابه [آخر] لدمجه بين رفض النبيذ وحفلات الشراب، وبين وصفه الطويل

= • الحبر أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا الأندلسي (توفي بعد ١١٣٥م)، شاعر وفيلسوف ولغوي يهودي أندلسي كان له أثر بارز في الثقافة الأندلسية العربية، ويعد من كبار شعراء الأندلس في زمانه.

1 Ibid., 18.

• الحاخام يهوذا بن شموئيل اللاوي الأندلسي (توفي نحو ١١٤١م) وشهرته أبو الحسن يهوذا اللاوي، أو يهوذا هاليفي، طبيب وفيلسوف وشاعر يهودي أندلسي.

والجاذب –بوضوح– للنبيذ والحفلات والمحيط البلاطي!..."[١]. لقد بقي الشاعر اليهودي يراوح بين رغبته في الشيء ورغبته عنه، والإقبال عليه والانصراف عنه، وهو الأمر الذي لا يمكن فهمه إلا في سياقة النفسي بالدرجة الأولى. لقد بدا دوناش نزاعًا للخمرة كما محيطه الأندلسي، على رهبة من عاقبة المساس بالأعراف اليهودية التي تحرمه من جهة وتعرضه لسوط العذل لافتراع اللذات على صرخات اليهود المضطهدين في العالم؛ من جهة أخرى.

وربما اتصل بموضوع التلقي النفسي لشعر العبريين، ما يلمح من حضور لفكرة *ubi sunt* وهي العبارة اللاتينية الشهيرة التي يمكن ترجمتها بـ "أين هم؟"، في استدعاء لماضي الأولين الذين سادوا ثم بادوا[٢]. تطل هذه الفكرة في أكثر من موضع من دراسة آنخل باديوس السالفة، عند الحديث عن الشعر التأملي لإسماعيل بن النغريلة، لتكون قطب رحى التحليل الذي استثمر أبيات الشاعر للدلالة على خلجاته النفسية وهو محاصر بمشاعر الخوف من الموت لتقدمه في العمر من جهة، وكثرة المتربصين به من أعدائه الأندلسيين، من جهة أخرى. وكما رصد الباحث، فقد أعاد الشاعر في موضع بعينه هذه الفكرة تسع مرات، ما

---

١ Ibid., p. 30.

- دوناش بن لبراط شاعر ونحوي وحاخام يهودي مغربي وأندلسي. هو أول من أدخل أوزان الشعر العربي إلى العبرية من مواليد مدينة فاس الميلاد ٩٢٠م وتوفي سنة ٩٩٠م في قرطبة.

٢عن هذا انظر مثلًا:

Bright, James W., "The *'ubi sunt'* Formula,". *Modern Language Notes* 8.(3) , 1893, p. 94.

https://www.jstor.org/stable/2918652#metadata_info_tab_contents

يعكس هذا الاضطراب المشاعري والخوف الكامن. وكما وصفه الدارس، فهو شعور "حامض-حلو" مع تشاؤم وقلق وجودي: "حينما شعر بقرب نهاية أيامه، تمكن من النظر للوراء بخليط من الشعور الحامض-حلو. ولعل النتيجة كانت نظرة للحياة تتسق مع تقاليده الدينية، لكن بجرعات قوية من التشاؤم، والقلق الوجودي، بوصفهما ثمرة لهذه التجربة الشخصية المعيشة بشدة"[١].

-**القراءة المقارنة:** وهي من زوايا النظر المنطقية التي فرضت نفسها على نقاد شريحة الدراسة في سعيهم لتفكيك الشعر العبري وفهم مرجعياته. فبنظرة شاملة، لا يكاد يرتاب أحد في التأثير المباشر والعميق للثقافة العربية في قسيمتها العبرية على وجه العموم، وهو ما يمكن أن تعضده شهادات صريحة لأدباء ومثقفين عبريين أنفسهم، ونكتفي بشهادتين هنا لكل من دوناش بن لبراط حين قال شعرًا:

"لتكن جنتك كتب الأتقياء

وفردوسك مؤلفات العرب!"[٢].

وموسى بن عزرا ناصحًا شعراء اليهود: "كما نحن في الشعر خاصة تابعة للعرب، وجب علينا أن نقتفي أثرهم ما استطعنا إليه سبيلا..."[٣].

---

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p. 110 & p.108.

2 Labrat, Dunash ben. Dunash ibn Labrat. Shirim. Hebrew edition N. Allony. Jerusalem: Mosad ha-Rav Kook, 1947, p.93.

٣محمد سكر، إكرام، "لمحات من التصوف الإسلامي في الشعر الديني العبري الأندلسي، دراسة في شعر موشيه بن عزرا"، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، ع ٢٦، ٢٠٠٩، ص ص ٣٥٥-٤٣٣؛ ص ٣٦٨.

وعليه فلا مشاحة في فضل الشعر العربي الأندلسي على نظيره العبري، ولا يقف ذلك في مستوى المضمون كما قد يعتقد، بل يمتد ليشمل الشكل الشعري نفسه. ففي دراسة يهوشوا غرانات "اعتبارات جديدة حول أول قصيدة خمرية عبرية أندلسية"، محاولة لتأريخ بداية الشعر العبري الأندلسي الدنيوي (أو العلماني) بمطلع الألفية الميلادية الثانية، وكيف أنه بدا حدثًا استثنائيًا، وبالرغم من انتهاجه نظامًا شعريًا جديدًا، تشير الدراسة إلى تبنيه لعناصر وطرق شعرية عربية لعهده. ومن أوجه الإيمان بالأثر العربي، صرامة التأكيد على مفعول العروض الخليلية العربية في القصيدة العبرية، وريادة الشاعر العبري دوناش بن لبراط في تبني البحور العربية بغرض تجديد الشعر العبري، لتصبح المحصلة مزيجًا من النظام الرباعي العبري والقافية الموحدة العربية[1].

ولأن محور الحديث خمريات دوناش وظاهرة الثنائية الضدية المتغلغلة في شعره الخمري "مع الخمر وضده في الوقت ذاته"؛ لاذت الدراسة بالشاعر العربي أبي نواس لفهم سر هذا التخالف وتبريره، لتنتهي بالقول إن دوناش يتبنى الموقف الشعري العربي في قصائد الخمر حين يحضر الشارب والعاذل في الآن ذاته:" إن وضعية الحوار الأدبي بين متحدث وشخصية أخرى تلومه، مألوف جدًا في هذه السياقات؛ كما هو الحال في قصائد أبي نواس مثلًا..."[2].

وفي الكلام عن أسس الشعر الغزلي العبري في الأندلس تهرع توفا روسن (Tova Rosen) في بحثها " "كامرأة" قصيدة غزلية لإسحاق بن خلفون، من منظور نسوي"؛ إلى الشعر العربي فتتبنى نتائج النقاد عن غزل ابن خلفون

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p. 28.

2 Ibid., p.35.

وأنه انعكاس أمين لأعراف الشعر العربي الصحراوي، خاصة في ثيمة العفاف: " اكتشف واي. راتزهابي (Y. Ratzhabi) في القصيدة أعرافًا نموذجية تحاكي تلك التي للشعر العربي الصحراوي؛ والأمر عنده- كما هو عند أيه. ميرسكي (A. Mirsky)- أن القصيدة تعكس عفافًا ورغبة منضبطة..."[١].

وفي صعيد القراءة الأجناسية للشعر العبري، يقرر آنخل باديوس في دراسته عن شعر ابن النغريلة أن في ديوانه ألفي قصيدة عبرية، أجناسها هي أجناس الشعر العربي، ويخلص أيضًا أنها كلها تلتزم النظام الشعري العربي. ويذهب الباحث نفسه أبعد من ذلك فيرى أن شعر ابن النغريلة سيما المتضمن للأقوال المأثورة، ما هو إلا حصيلة تأثير ثقافات عدة كالسنسكريتية والمصرية والكنعانية والعربية، لكنه في رصده للمؤثرات المباشرة في شعر ابن النغريلة التأملي يتوقف عند فن الزهديات العربي بوصفه النموذج الأوفر حظًا في هذا التأثير[٢].

وبقليل من الإمعان، يبدو أن قراءات هؤلاء النقاد تفترش الشعر العربي أرضية ترتكز عليها في فهم الشعر العبري الأندلسي؛ اعتقادًا بسلامة المنطلق واحتماء به من الزلل البحثي، على اعتبار التسليم الساري في الأوساط البحثية بتأثير العربي في نظيره العبري. ففي بحثها المعنون بـ "بنية القصيدة في الأندلس، حول قصيدتين موجهتين لإسماعيل بن النغريلة"، ترى إسبيرانثا ألفونسو

---

١ Ibid., p.40.

- إسحاق بن خلفون، شاعر عبري أندلسي، ولد شمال المغرب ثم انتقل للأندلس، يعد من الشعراء المداح، توفي بعد عام ١٠٢٠م.

2 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, pp.87-90.

(Esperanza Alfonso)، أن قصيدة ابن خلفون المدحية الموجهة لابن النغريلة؛ تستعيد نموذج المستشرق الألماني ستيفان سبيرل S. M. Sperl الذي يصف القصيدة العربية القديمة بالتضاد بين قسمين كبيرين: المقطع (النسيب والرحلة)، وضد المقطع (المديح)[1]. وتعتقد الباحثة أيضًا أن ما يلحظ من هجوم على المنجمين بعد المدح والثناء على الله في هذا النص الشعري العبري؛ إنما هو بتأثير واضح من الشعر العربي: "القسم الفرعي حول المنجمين الذين يشككون في الأصل الرباني للخلق؛ يغير نظام هذا الكون، ويعطل ترتيب القصيدة. والهجوم على المنجمين أمر شائع في القصيدة العربية التي تنتقد تنبؤاتهم السلبية عن الحكام الممدوحين أو تمنح سلطة لتلك التنبؤات"[2] وكأنها تشير هنا لقصيدة أبي تمام الشهيرة الموجهة للمعتصم في حادثة عمورية.

وحين يعرض يوسف ياحالوم (Yosef Yahalom) للموشح العبري في دراسته "متجاوزًا أحزان العشق، تجسيد الحب في الموشحات العبرية"، يقارن الباحث بين خرجة عربية لموشحة من موشحات إسماعيل بن النغريلة وأخرى عربية، ثم يعمد لموشحة عربية لها الخرجة نفسها من نظم ابن اللبانة في مدح المعتمد بن عباد: " وعلى الرغم من أن الموشحة العربية متأخرة، تعكس بدون شك البنية الأصلية التي كانت بمثابة النموذج للموشحة العبرية..."[3].

ومن أهم الدراسات التي اختطت المقارنة بين الشاعر العبري والعربي نهجًا لمقاربتها، نقرأ دراسة آري شيبرز (Arie Schippers) المعنونة بـ "التكلفية والفردانية: شعر ابن خفاجة وموسى بن عزرا ويهوذا حا-ليفي"، حيث

1 Ibid., p.132.

2 Ibid., p.139.

3 Ibid., p. 257.

تشرع الدراسة بذكر صفات شعر هؤلاء الشعراء وما يجمعهم من خصائص وقيم؛ كعدم احتفائهم بالمدح تحديدًا وحرصهم على التمهيد النثري لقصائدهم، واصفة شعر الشاعرين العبريين بأنه مقلد للعربي بلغة عبرية توراتية: " كلا الشاعرين ينتمي إلى حركة شعرية من الشعر العبري الأندلسي التي بالكاد أكملت قرنًا من الزمن. حاولت هذه الحركة التعبير عن الموضوعات الدنيوية للشعر العربي التقليدي بلغة عبرية توراتية..."[١]. ومع إشارة المؤلف لبعض الخصائص العربية في شعر العبريين مثل ظاهرة الوقوف على الأطلال حين يشبه حا-ليفي قلبه بالأطلال المقفرة؛ يصف الأمر على أنه صياغة باروكية للموتيف الجاهلي: "في مناسبة أخرى قمت بعمل تحليلات حرفية لشعر يهوذا حا-ليفي... حللت القصائد المدحية لهذا الشاعر، ووجدت هناك...، وصفًا للأطلال، وهو أحد الموتيفات البدوية الجاهلية الأصيلة...؛ على سبيل المثال، يشبه الشاعر قلبه الحزين ببقايا الأطلال المقفرة. هذا نوع من إعادة صياغة الموتيفات الجاهلية يشبه المعالجة الباروكية التي يصنعها ابن خفاجة من موتيفات جاهلية، مثل التباهي بالمغامرات الغزلية كما هو الحال عند الشاعر الجاهلي امرئ القيس..."[٢]. ؛ ثم يلتفت الباحث لما شهر به قبلهم أبو تمام مما سماه "الاستعارة الإضافية" التي اتكأت عليها الدراسة وشغلت أسطرها[٣]. وسنتناول هذه الاستعارة في قادم الأسطر.

والواقع أن هذه الدراسات أبانت عن أن المقارنة مع الشعر العربي لا

---

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p.١٧٥.

2 Ibid., p. 176.

3 Ibid., p. 176.

تنحصر في البرهنة على تأثيره في صنوه العبري؛ بل تتعدى لتمثل وسيلة لتمييز تجربتيهما، وكأن السبيل لخلق هوية للشعر العبري يكون بعرضه على نظيره العربي الذي بدا محورًا للتشابه والاختلاف في آن واحد. نجد هذا مثلًا في دراسة أورورا سالباتيرا (Aurora Salvatierra) "قصائد وأصدقاء: يهوذا حا-ليفي وليفي بن الطبان"؛ فمع أن الموضوع مراسلات بين شاعرين عبريين، تستدعي الباحثة في مقدمتها الشعر العربي وتمنحه -ونظيره العبري- صفة القيمة التعبيرية والشمولية لمناحي الحياة، ثم تعرج على اختلافهما في موضوع الطبيعة والإخوانيات. ففي إشارتها لمقدمة قصيدة ابن الطبان في الإخوانيات (وهي مقدمة غزلية يصف فيها جمال فتاة)، تشير الباحثة أن الفرق بينها وبين نظيراتها من الشعر العربي يكمن في أن الفتاة في قصيدة ابن الطبان هي من يبكي الفراق ويشكو لواعج الشوق وليس العاشق كما في القصيدة العربية: " ولكن بخلاف ما هو معتاد في النسيب الكلاسيكي للشعر العربي؛ تكون هي (وليس العاشق) من تبكي شاكية من شر الحب وتذرف الدموع عندما يقف الفراق- الذي لا تريده- بينها وبين عشيقها..."[1].

وتعلق على عبارة حا-ليفي عن الشعر: "قلبي لا يعيش على فرائسه"، بأنها ربما كانت رغبة منه في إظهار تواضعه وهو يبعث بالقصائد لأستاذه اليهودي الذي كان شاعرًا أيضًا، أو أنه لا يعتمد في معيشته على الشعر ولا يتخذه حرفة. هنا تنتهز المؤلفة الفرصة لتقرر أن شعر النخبة اليهودية الأندلسية

---

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p.230.

- ليفي بن الطبان أو ألتبان، شاعر وحاخام يهودي أندلسي، عاش في القرن الثاني عشر الميلادي.

كان محض هواية ومتعة، وليس وسيلة كسب أو نمط حياة كما هو حال صنوه العربي[1].

-**القراءة النسوية:** وللتلقي النسوي حضور في الشريحة المعينة للدراسة، ومع أن هذا الحضور أضحى اعتياديًا في الدراسات الأدبية منذ شاع الاتجاه النسوي؛ يبدو لي أن زاوية النظر النسوية في تلقي الشعر العبري الأندلسي أتت في ظرف معمق من الشعور بالمظلومية؛ مظلومية اليهودي في عالمه، ومظلومية المرأة تحت النظام الأبوي اليهودي، ما استحث فضولًا مضاعفًا لسبر حال المرأة اليهودية الأندلسية.

والنموذج الأنصع لهذا التلقي النسوي يظهر في عنونة توفا روسن لدراستها " "كامرأة" قصيدة غزلية لإسحاق ابن خلفون، من منظور نسوي"، من حيث هي دراسة نسوية مكرسة ومباشرة. ومحور الورقة تبادل الأدوار القائم بين المرأة والرجل؛ فالرجل يتموضع "كامرأة" متخليًا عن صفته الذكورية حين يواجه النظام الأبوي الصارم الذي لا يكتفي بحجب المرأة، بل يقمع الرجل الذي يبغي الوصول إليها أيضًا. هذا العاشق المقموع يحاول التصدي لهذه السلطة الذكورية دون جدوى، وفي هذا الشأن تقول الباحثة: "لدينا هنا ضحيتان إحداهما في مواجهة الأخرى: المرأة المحبوسة في الحلقة الذكورية، والرجل الواقع خارجها ولا يستطيع مواجهة قواعدها الصارمة"[2]. وربما نظرت توفا روسن لموضوع المرأة بشمول جعلها تربط الفتاة العبرية بنظيرتها العربية؛ فكلتا الفتاتين محجوبة مقموعة في النظام الأبوي، تنتقل المرأة من متسلط (أسرتها الذكور) إلى متسلط

1 Ibid., p.232.

2 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p.50.

آخر (زوجها):"لقد كانت الفتاة اليهودية (مثلها مثل العربية) مراقبة عن كثب من قبل الأعضاء الذكور لعائلتها إلى أن يحين وقت تسليمها لزوجها؛ وبزواجها تنتقل من بيئة هيمنة ذكورية لبيئة هيمنة أخرى..."[1].

هذا التمحور النسوي الذي بدا جليًا في قراءة الباحثة، ألجأها في موضع آخر من تحليلها لشيء من التحيز تمثل في بعض التأولات الشاطحة جدًا. ففي تناولها لمشهد من قصيدة ابن خلفون هذه، يشبه نفسه فيه بالظبي القافز وهو يخف باتجاه مقر محبوبته؛ تعلق بأن هذا القفز هو في حقيقته "ذكورة واضحة"، فتؤول حركة انتقال العاشق من الخارج إلى الداخل (حيث منزل الفتاة) على أنه مجاز لحركة الإيلاج الجنسي: " يمكن أيضًا تفسير الحركة من الخارج للداخل، من أرض الذكر لأرض الأنثى؛ على أنه مجاز أو تسامٍ للإيلاج الجنسي..."[2]، ولا يمكن فهم هذا التأويل إلا في سياق نزعة نسوية تؤمن بسلعنة المرأة في النظام الأبوي وتسعى لتضخيمه وتجريمه.

-**القراءة النسقية:** تحت هذا العنوان نحاول رصد بعض المنطلقات النسقية للنقاد القارئين للشعر العبري الأندلسي؛ تلك التي تحفل بالداخل النصي أكثر من السياقات الخارجية. والملفت حقًا ما يلحظ في هذه الدراسات من وعي بأهمية المناهج النصية كالبنيوية والسيميائية وغيرهما في الكشف عن قيم الشعر العبري الفنية بعيدًا عن السياقات الخارجية المؤدلجة التي ربما وجهت- بشكل أو بآخر- النقاش حوله وأثرت في الحكم عليه. وفيما يلي عرض لبعض زوايا هذا التلقي:

---

1 Ibid., p.46.

2 Ibid., p. 44.

توفر بعض الدارسين على البنى الداخلية لنصوص الشعر العبري الأندلسي محاولًا رصد تحولاته عبر ما يسمى بـ "التلاعب بالبنية القياسية". ففي مقالة "بنية القصيدة في الأندلس، حول قصيدتين موجهتين لإسماعيل بن النغريلة"؛ تستند إسبيرانثا ألفونسو على نموذج ستيفان سبيرل في تحليل قصيدة ابن خلفون (وهو الذي أشرنا إليه سابقًا)، متشبثة بالبنى التركيبية الداخلية للقصيدة، خاصة ما تسميه "البنى النحوية المتوازية". ثم تتناول الباحثة كيفية تلاعب الشاعر بـ "البنية الشعرية القياسية" للشعر العبري نفسه، وغياب استراتيجية "التحول" التي عالجها الشاعر في نصوص أخرى، ثم تراجع كل قسم من النص وترصد التغيرات التي أدخلها الشاعر على النموذج السائد قبله[1].

وفي تحليلها لإحدى قصائده، تخلص الباحثة إلى أن بنيتها ليست خطية وفقًا لنموذج القصيدة الكلاسيكية، بل دائرية وفق مخطط شارح تضعه لها:

A

B

B

تخلص/انتقال

A

وعلى المنوال نفسه تتناول قصيدة سليمان بن جبيرول؛ حيث ترى أن الشاعر يولد معانيه من أربعة عناصر هي عناصر توليد الحياة (الماء والنار والتراب والهواء)، وتمثلها في المخطط التالي:

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, pp. 132-136.

aaaA-bbbA-cccA

ومن زاوية أخرى، تلتفت الباحثة لفكرة إعادة توزيع العناصر؛ فمن خلال نموذج المدح تبين كيف أن ابن جبيرول أعاد توزيع هذا الغرض خلافًا لأشعار شعراء عبريين قبله مثل دوناش بن لبراط؛ فجعله على الترتيب التالي: مدح الله/ مدح الممدوح/ مدح الشاعر لإبداعه[1].

ومما يلاحظ اهتمام الباحثين بظاهرة أصيلة في الشعر العبري الأندلسي هي ظاهرة التناص. وقد سلف القول بأن الشاعر العبري جزء من الأمة اليهودية التي حافظت على هوية خاصة داخل الهوية الأندلسية الكبرى؛ ومن أوجه هذا الحفاظ استدعاء المرجعية الدينية اليهودية على الدوام. كما رأينا كيف أن الشاعر العبري يلجأ للإحالة التوراتية حتى في موضوعات المجون، وكأنه يريد أن يخفف بذلك وقع الخطيئة، أو يثبت أنه لايزال متقيدًا بثوابته الدينية رغم ضرورة النزعة الدنيوية أو العلمانية والحاجة للتغيير.

في مقال يوسف ياحالوم "متجاوزًا أحزان العشق..."، يركز عمله على الموشح العبري، ويسوق أشعارًا لشعراء عبريين موضوعاتها في الغزل الفاحش وإحالاتها دينية توراتية بامتياز. هنا يشير الباحث لنظم موسى بن عزرا، الشاعر اليهودي المعروف، لموشحة ماجنة يدعو فيها لمداعبة صدور النساء وشفاههن حتى يصل العاشق لنصيبه من الصدر والفخذ، ويرى أن ورود هذين العضوين (الصدر والفخذ) استدعاء لعضوي الكبش الذي يذبح في الهيكل ويكونان من نصيب الكاهن وفق التقاليد اليهودية[2]. وفي نص آخر من الغزل بالمذكر، يتسم

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, pp.137-142..

2 Ibid., p.247.

بالصراحة المبتذلة، يراود الشاعر فيه غلامًا، فيطلب منه الغلام أن يكف، فيتوجه إليه الشاعر بكلمات النبي موسى: "اقتلني، أتوسل إليك اقتلني..."[1]. يصف الباحث هذا الاستلهام في الموشح العبري بقوله: "مزج المقدس والدنس هنا قد بلغ مدى غير مسبوق"[2].

ويبدو من تقري دراسات الباحثين، أن هذا الاتكاء على المرجعية اليهودية من الشاعر الأندلسي العبري، قد طرز نتاجه بالرموز والكنايات، حتى لا تكاد تجد نصًا يخلو من هذا الرمز اليهودي. ففي قراءة دفورا بريغمان (Dvora Bregman) "العمامة البيضاء بوصفها موتيفًا في شعر سليمان بن جبيرول"، تركز الباحثة على موتيف النور عمومًا من منطلق ديني صوفي يرى الله نورًا وغيابه ظلمة. وترمز العمامة البيضاء للنور وبالتالي لكل خير في مقابل الظلمة المحيلة لكل شر، ومن ثم يستدعي الشاعر كل ما له نور مثل القمر، الذي كرس له غير قصيدة من واقع دلالته على النور وكيف أن سطوعه مؤشر لسطوع الحكمة الفلسفية والدينية[3].

وفي قراءة رايموند شيندلين (Raymond P. Scheindlin) "أغنية الحمامة الصامتة: حج يهوذا حا-ليفي"، ينشغل الباحث برمزية الحمامة في شعر الشاعر وعلاقتها بالتقاليد اليهودية، ويرى أن الحمامة التي هي علامة العشق في

---

1 Ibid., p. 249.

2 Ibid., p. 264.

3 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, pp.151-152, 160.

- شلومو، وبالعربية سليمان بن يحيي بن جبيرول (توفي في بلنسية قرابة ١٠٥٨م)، شاعر وفيلسوف وأديب يهودي أندلسي.

كثير من الثقافات، تأتي في التراث اليهودي رمزًا للحب بين الله وإسرائيل، كما تكون أيضًا رمزًا للذات الإلهية نفسها. ويعمق الباحث من رمزية هذا الطائر الأبيض، فيشير أنه في التقاليد اليهودية تقدم الحمامة عنقها لذابحها، طاوية في ذلك مجازية الاضطهاد والنفي اليهوديين. ويعمد الباحث للربط بين هذه المفاهيم الرمزية وثيمة الغزل من حيث إن العاشق الصادق مستعد للموت في سبيل من يحب: " صورة الحمامة التي تتعاون مع قاتلها بمد عنقها إليه ليذبحها، يمكن أن تبدو لنا قسرية، لكنها تستجيب لروح ديانة مضطهدة، وتتوافق مع الثيمة الموجودة في الشعر الغزلي حيث العاشق الحقيقي على استعداد للموت بسبب حبه"[1].

وفي عملها الموسوم بـ "السلام عند شعراء اليهود الأندلسيين الكلاسيكيين وفقًا لـ "أقداة" برشلونة"، تستقرئ ماريا خوسيه كانو (María José Cano) رموز السلام والعنف في الشعر العبري الأندلسي، ضمن مشروعها المستهدف لثقافة السلام والنزاعات في العصور القديمة. ومع أن تتبعها للفظة "شالوم" أو السلام في الوثيقة المذكورة، لا يسفر عن أكثر من مناسبتين فقط حضرت فيهما، وهو أمر طريف للغاية[2]؛ تحظى العلامات الثنائية المتضادة الدالة على السلام والعنف بحضور مكثف. من ذلك استعمال الشاعر الأندلسي العبري ابن غياث لطباق الليل والنهار كثيرًا للإشارة للسلام والعنف؛ وكيف أن المسيح المخلص سيحضر ليبدد الظلم (الليل) وينشر السلام (النهار)[3]. وترصد الباحثة بعض

1 Ibid., p.196, & p. 195.

2 Ibid., p. 268.

3 Ibid., p. 272.

=

كنايات الشاعر يهوذا حا-ليفي الرامزة كما عبارة "ابن الأفعى" وهي عبارة تناص مع الثقافة الدينية اليهودية للتعريض بغير اليهود الذين مارسوا إقصاء في حق الأمة اليهودية بشكل أو بآخر. ومثلها عبارات أخرى ذات دلالات تاريخية ودينية للتعريض بجيرانهم الأندلسيين؛ كاستعمال "ابن الجارية" تعريضًا بالمسلمين (الجارية هي هاجر أم إسماعيل، أبو العرب)، وفي هذا تقول الباحثة: "بالمجمل، يمكن القول بأن المنظومات التي جرى تحليلها تعكس جميع أنواع العنف، وبالتالي، تعد مألوفة تلك الإشارات إلى المجموعات العرقية الدينية الأخرى التي يتألف منها المجتمع الأندلسي: مسلمين ومسيحيين، التي تحضر بوصفها مضطهدة لإسرائيل"[1].

وعلاوة على إخلاص الشاعر العبري لمرجعيته اليهودية عمومًا، وحرصه على استدعائها في شعره؛ تبدو هذه الرموز والكنايات الدينية ركائز إنشائية يتكئ عليها في خلق نصوصه. فهذا إسماعيل بن النغريلة في معرض حديثه عن خصوماته مع أعدائه الأندلسيين (مسلمين ومسيحيين) -كما تشير دراسة جوديت تارغارونا بوراس "إسماعيل بن النغريلة، شاعر عبري في بلاط الزيريين"-؛ يحشد الأسماء والمواضع التوراتية كالعماليق (كنعانيون، أعداء لليهود) وإيدوم (مملكة قديمة، عدوة لليهود) وأبناء قنطورة (المسلمون) وأجاج (ملك العماليق)...إلخ مستعيدًا بذلك غابر اليهودي المحاصر بالأعداء للتعبير عن حاضره المشابه مع

= • لعله إسحاق بن غياث أستاذ موسى بن عزرا، كان شاعرا ورئيسا للأكاديمية اليهودية في أليسانة بالأندلس.

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). *Poesía hebrea en al-Andalus*, p. 274.

محيطه المسلم والمسيحي[1].

ومن الواضح أن عماد الفكرة الشعرية والخلق الشعري لدى ابن النغريلة في نصه هذا؛ قد استند على هذه الرموز التوراتية التي ساعدته كثيرًا على تصوير الصراع بينه وخصومه بدون تعقيدات أسلوبية، وفي هذا الصدد تعبر الدراسة السابقة نفسها بأنه "يجب أن نضع في الاعتبار أن أسماء المواضع والملوك في الشعر العبري تستبدل بها أسماء توراتية، يمكن التعرف عليها في الغالب"[2].

ومن المباحث النصية التي حظيت باهتمام نقاد الشريحة، ما توفرت عليه دراسة آري شيبرز "التكلفية والفردانية: شعر ابن خفاجة وموسى بن عزرا ويهوذا حا-ليفي". في هذه القراءة تسلط الدراسة الضوء على تقنية "الاستعارة الإضافية" أو "استعارة الإضافة" التي أشرنا إليها سابقًا، وتتخذ منها محورًا للمقارنة بين شعراء عرب وعبريين أندلسيين وحتى شعراء من العصر الحديث. وفي تبنيها لهذه التقنية الفنية تحاول القراءة سبر تركيبها عند هؤلاء الشعراء؛ فوزعت استعارات موسى بن عزرا لاستعارة وصف واستعارة هوية؛ فمثلًا "مياه الفرح" (المشابهة لاستعارات أبي تمام الذي أشارت الدراسة له ولاستعارته "ماء الملام")؛ استعارة لوصف الحالة الشعورية، بينما "حفرة السبي" و "حفرة المنفى" عنده، استعارة تحديد هوية[3]. وتعد الدراسة هذا التوظيف العميق والمتكرر لمثل هذه الأشكال المجازية واللغوية، وسيلة للتعرف على المنهج الفني المميز لهؤلاء

1 Ibid., pp.72-74.

2 Ibid., p. 69.

3 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). Poesía hebrea en al-Andalus, pp. 176, 182.

الشعراء: "وبالمقارنة بين الشاعرين العبريين الأندلسيين وشعراء آخرين من الأدب العربي والأوروبي؛ يتضح كيف أن الاستخدام المتكرر لهذه الأشكال اللغوية المجازية المنمقة للغاية، كمزجيات الإضافة واستعارات أخرى؛ يمكن أن يرشدنا إلى الأسلوب الشخصي لشعراء بعينهم، حتى ضمن الأعراف الصارمة للشعر الأندلسي العربي والعبري..."[١].

ب. أفق التوقع:

من الظواهر التي يمكن اقتناصها في دراسات الشعر العبري، ظاهرة المفاجأة وكسر أفق التوقع، وربما كان للسياق الثقافي العبري دور في حضورها المكثف فكرة قبل أن تتمحور وسيلة فنية. فالمواربة التي اعتمدها العبري الأندلسي (واليهودي عمومًا) في المستوى الفردي والجماعي بوصفها ضرورة وجودية؛ تهاوت في شعره وهو يميط اللثام عما يعتلج في نفسه ويدور في فكره، مفصحًا عن ذاته أولًا ومعبرًا عن أقليته ثانيًا في هيئة صادمة للمتلقي وأفق انتظاره. هذا في الواقع امتياز لا منقصة، من حيث هي مباغتة فنية منتظرة في العمل الإبداعي، تتكرر كثيرًا في الأدب العبري الأندلسي لوجود ما يغذيها. ومن الأمثلة التي يمكن سوقها في هذا الموضع، ما يكشف عنه روس بران في دراسته "الشعر في الثقافة الأدبية العبرية في الأندلس" في حديثه عن حكايات يهوذا الحريزي؛ حين يري أحدُ الأثرياء صاحبه قصره ومحتويات بيته ومغامراته الجنسية فيه (مشابهة من حيث الإطار العام للمقامة المضيرية للهمذاني). ويعلق الباحث تعليقًا ينم عن دهشة التلقي لدى بعضهم من مخالفة النص لأفق التوقع لديهم: " من يفزعهم الاعتقاد بأن الحاخامات في العصور الوسطى يمكن أن تمر

1 Ibid., p.185.

بمخيلتهم هذه الأشياء، فضلًا عن كتابتها، فلربما يهدئ من روعهم أنه مقارنة بما كان معتادًا في الأدب الوسيط الأوروبي والعربي؛ فإن النصوص العبرية في الجملة معتدلة ومناسبة لكل الجمهور"[1]. هذا الخلاف هو ما وهب المشهد قيمة ورفع درجة مقروئيته، على اعتبار أن اقتران الديني بالجنسي ليس منظورًا في سياق الثقافة اليهودية التي كانت الهوية الدينية فيها تشكل معادلًا موضوعيًا للهوية الوجودية.

وفي مشهد يمس الجانب السلوكي الديني كذلك، (مغاير للسابق شيئًا ما)، مما قد مر بنا في غير موضع لحظنا فيه أثر الثنائيات الضدية في كسر أفق التلقي؛ تجسد دراسة يوشوا غرانات لأول خمرية عبرية أندلسية هذه المفاجأة لأفق التوقع في عنوانها "جدلية أم التباس أم ازدواجية...". يأتي هذا العنوان تلخيصًا لردة الفعل القرائية حيال خيبة الانتظار من وصف دوناش بن لبراط للخمرة، ما بين حرارة وحماسة لها في الوقت الذي يرفضها ويقرع صاحبه لدعوته إليها[2]. لقد كانت الرغبة ونبذ الرغبة سبيلًا لانتهاك أفق التوقع.

ومن أوجه خيبة الانتظار لانكسار أفق التوقع، ما عايناه في قصيدة ابن خلفون التي تناولتها توفا روسن من زاوية نسوية، وهي قصيدة غزلية تمثل معاناة الشاعر وهو يجهد للوصول لمحبوبته الأسيرة في محيطها الذكوري. تورد الباحثة

---

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). Poesía hebrea en al-Andalus, p. 24.

- يحيى بن سليمان بن شاؤل أبو زكريا الحريزي اليهودي، المشهور في العربية بيهوذا الحريزي، من أهل طليطلة، وهو المعروف بترجمته لمقامات الحريري إلى العبرية (توفي عام ١٢٢٥م).

2 Ibid., pp.29-30.

قراءة أحد نقاد القصيدة الذي يصفها قائلًا: "لا تُظهر الشاعر عبدًا للمرأة الجميلة بل بالأحرى مهرجًا!"، وفي الموضع ذاته تشرح كيف خالف الشاعر أفق انتظار التلقي حيال سلوكه الشخصي فـ: "بينما كان النقاد يرجون–فيما يبدو– أن يتصرف العاشق بوصفه "رجلًا" فيكون في مستوى معيار الفارس الأسطوري الذي يتجاوز كل المعيقات الطبيعية والاجتماعية ليصل إلى محبوبته؛ فضل العاشق إن يقدم نفسه "كامرأة.!"[1]. ولا شك أنها من أكثر المواضع التي كشفت فيها القراءة عن ظاهرة تخييب التوقع عبر فكرة المفارقة التي صحفت السائد عن فروسية العاشق مع عبوديته لمن يحب (وهي من مشتركات الثقافات)؛ فإذا الفارس العاشق مجرد امرأة أو مهرج.

تطل المفاجأة بأفق التوقع من جديد في قراءة إسبيرانثا ألفونسو "بنية القصيدة في الأندلس" التي سبق اقتباسها في غير موضع من دراستنا. في مقاربتها لقصيدتي ابن خلفون وابن جبيرول، قطعت بأن الشاعرين قد تلاعبا بنموذج القصيدة التقليدية، وخلصت منه إلى أن هذا التلاعب قد خيب التوقعات وترك انطباعًا مختلفًا: " وبالتلاعب بالنمط المعروف، تخيب التوقعات المتولدة في القصيدة، معطيًا بذلك تأثيرا ساخرًا..."[2].

ومن صور الانزياح عن أفق التوقع فكرة بكاء المرأة على غرام حبيبها وليس العكس؛

ففي نص من الأدب الإخواني تناولته الباحثة أورورا سالباتيرّا "قصائد وأصدقاء: يهوذا حا–ليفي وليفي بن الطبان"؛ نظرت فيه من زاوية المفارقة لأعراف الشعر

1 Ibid., p.48.

2 Targarona Borrás, Judit; Sáenz–Badillos, Ángel (eds.). Poesía hebrea en al–Andalus, p. 130.

العربي الذي يبكي فيه العاشق جفاء محبوبته بما هي المطلوبة وهو الطالب. لقد جاء الأمر على العكس في شعر حا–ليفي؛ إذ تشكو الأنثى المكلومة حبها وما تكابده في سبيل الغرام: "بخلاف ما هو معتاد في النسيب الكلاسيكي للشعر العربي؛ تكون هي (وليس العاشق) من تبكي شاكية من شر الحب وتذرف الدموع عندما يقف الفراق– الذي لا تريده– بينها وبين عشيقها..."[1].

ج. التأويل:

التأويل عدة القارئ للغوص في مجاهل النص المكين، ولا شك أن له شروطه الثقافية التي تمنح المتلقي الحق الأدبي والمعرفي لمساءلة النص والحوار معه، وفي النماذج التي بين أيدينا شكل التأويل مدخلًا حينًا وركيزة أحيانًا للنقاد على اختلاف منطلقاتهم ومدارسهم. والواقع أن ثيمات النص وطبيعته التكوينية تلعب دورًا مهمًا في اتساع دائرة التأويل أو ضيقها لدى هؤلاء النقاد. وفي نصوص الشعر العبري التي تسنى لنا الاطلاع عليها، يمارس النقاد تأويلاتهم المنسجمة مع ظروف النص من جهة، وزوايا نظرهم ومناهجهم، من جهة أخرى، لكنا سنؤثر مثالًا واحدًا نعتقد بكفايته لمقاربتنا، تعددت فيه التأويلات من واقع خصوصية النص فيه وطبيعته الجدلية.

مثالنا خمريتا دوناش الإشكالية التي تناولهما يهوشوا غرانات بوصفهما باكورة الخمريات العبرية الأندلسية. فقد كان لموضوعهما وظروفهما أثر مباشر في فتح باب التأويلات على مصراعيه؛ ففي حين يصف الخمر بحماسة لافتة لا يفسرها مجرد الرغبة؛ يلحو صاحبه الذي أغراه بها ويرفضها.

هذا الموقف أذكى جذوة التأويلات لا لفنيته بقدر ما الأمر غموضه وتوتره، لتتعدد التأويلات ويتخذ بعضها نوعًا موازيًا من الغرابة والتعجيب. فمن تلك التي تنضم لتأويل الوازع الديني الذي يمنع الشاعر اليهودي من الاحتفاء

---

1 Ibid., p.230.

بالخمرة ويدفعه لرفض النبيذ؛ يسوق الباحث تأويلًا آخر مفاده أن الشاعر تحاشى التصريح بخمرية القصيدة لا بداعي العامل الديني؛ بل لأن الخمريات لم تكن ضمن موضوعات الشعر العبري آنذاك، لذا أبدى الشاعر نكرانها، وكأنها –على حد تعبير المؤول–حصان طروادة من جهة تسللها إلى الشعر العبري خفية: "والقصيدة كما نعرفها تحولت –وفق هذه النظرية– إلى شيء أشبه بحصان طروادة، تدخل– بمكر –جنسًا غريبًا في مبنى الثقافة اليهودية التقليدية. هذا التأويل الجذري–المقترح بتحفظ كبير من هـ. تشيرمان (H. Schirmann) – لقي قبولًا واسعًا..."[1].

وبعد عرض مطول لمزيد من التأويلات لهذه الخمرية وللازدواجية التي استقرت في شخصية الشاعر؛ خلص البحث إلى أن عناية النقاد بنصي دوناش الخمريين يفسره السياق التاريخي لهما: "إن الاهتمام المتواصل للدارسين بالنقاشين الشعريين لدوناش حول النبيذ، ونتائجهما المتباينة نوعًا ما، ليس إلا نتيجة للسياق التاريخي الفريد لهذين النصين بوصفهما رمزين لظهور المدرسة الأندلسية للشعر العبري، وللقطب الثنائي الجوهري لهذه القصائد التي تقدم أولًا موقفًا ما ومن ثم تناقضه، دون أن يكون هناك تبعية واضحة لأحدهما على الآخر، وبدون أن تصب في مصلحة أحد منهما..."[2]؛ وهذا في حد ذاته تأويل آخر يندرج مع سابقيه ولا يقل عنهم طرافة.

1 Targarona Borrás, Judit; Sáenz–Badillos, Ángel (eds.). Poesía hebrea en al–Andalus, p. 31.

2 Ibid., p.32.

الخاتمة

تعددت مداخل الدارسين المحدثين في مقاربتهم للشعر العبري الأندلسي، وتباينت استجابتهم له وفقًا لخلفياتهم الثقافية وتكوينهم المعرفي. وجاء تلقيهم لهذا الشعر على أسس شتى، منها النسقي ومنها السياقي، ولعل الأخير هذا قد شغل الحيز الأكبر في هذه الدراسات، وذلك عطفًا على إلحاح السياقات العبرية اليهودية على الشاعر والناقد على حد سواء، تشكيلًا للنص الشعري وقراءة له. من هنا تتبنى بعض الدراسات المدخل السياسي طريقًا لها لمساءلة النصوص، وكذلك الأمر بالنسبة للاجتماعي والديني، على اعتبار أن الأمة اليهودية بقيت مرتهنة لهذه السياقات التي شكلت حمولة ضاغطة عليها وانعكست على منهجها في الخلق الفني والتفكير الإبداعي. ومن أوثق ما عنيت به هذه الدراسات تأثير المرجعية التوراتية والعبرية عمومًا في النص الشعري العبري، فعملت على تفكيك هذه الإحالات وفهمها بغية النفاذ إلى هذه النصوص التي تشكلت ظاهرة فريدة وهي تراوح بين الديني والعلماني، والواقعي والخيالي، والحاضر والماضي.

ومن المرجح أن التهميش الذي وقر في نفوس هؤلاء الدارسين حيال الواقع اليهودي في العصور الوسطى، قد ساهم في صرف اهتمامهم صوب العامل النفسي الذي أثر في رؤية الشاعر العبري وتجربته، محاولين استيعاب الظواهر الغريبة التي تكتنف شعره، كالغموض الماثل في تضارب شعر الشاعر الواحد بين الرغبة في الشيء والرغبة عنه في النص نفسه، ما يفسح مجالًا للقول بأن المدخل النفسي شكل منطلقًا مهمًا لمقاربة النص العبري الأندلسي عبر فهم الموجهات النفسية لمنشئه؛ تلك التي ألقت به في أتون القلق الوجودي والخوف والتناقض والحزن؛ لتعلق الأمر بأقلية مهددة، ومجموعة تاريخية تطاردها ذكرى النفي والسبي والشتات.

وأبانت الدراسة عن دور المنهج المقارن في تلقي الشعر العبري الأندلسي

وضرورته لدى الناقد الحديث. ولهذا جاء الاتكاء على الإرث الأدبي العربي منطقيًا في مقاربة هذه النصوص، من حيث إن الثقافة الأندلسية عربية اللسان على كل حال. ويمكن القول بأن التلقي المقارن شكل محورًا في غير قليل من دراسات النقاد في الشريحة المرصودة؛ فحضر الشاعر العربي الأندلسي، كابن خفاجة، والعربي المشرقي كأبي نواس، وحضرت الموضوعات والأغراض الشعرية العربية، كالوقوف على الأطلال، والغزل بالمذكر، ووصف الطبيعة، وبناء عليها أعلن الدارس تبعية الشعر العبري غالبًا وفرادته قليلًا.

ومن أهم زوايا النظر في هذه القراءات، كانت الزاوية النسوية التي راقبت فكرة الوصاية الذكورية والنظام الأبوي ودور الشعر في تعزيزه أو مقاومته. ولم تختلف نتائج هذه الدراسات في تأكيد سلبية حال المرأة في ظل هذا النظام الأبوي الذي تخطاها أثره ليشمل حتى الرجل وهو يشبه نفسه بامرأة؛ ليظهر عجزه التام أمام هذا النظام الذي يحجبه عن محبوبته المحجوبة أصلًا.

أما التلقي النسقي في هذه الدراسات فقد تمثل –من حيث الكم –على نحو أقل نوعًا ما من سابقه السياقي، وإن كان على قدر موازٍ من الأهمية. فقد وقفت بعض الدراسات على بنية القصيدة العبرية الأندلسية، فرصدت مكوناتها الشكلية وظواهرها البنيوية والإيقاعية، وتناولت ثيمات النصوص وموتيفاتها، وكانت تراوح بين الانغلاق على بنية النص والانفتاح على السياق أحيانًا، خاصة في محاولة بيان تمرد هذه النصوص على البنية القياسية للقصيدة العبرية عمومًا، ودور المرجعية الدينية على وجه الخصوص في إحداث هذه الخلخلة للسائد. كما اشتغلت هذه الدراسات برموز الشعر العبري وعلاماته ودورها في تقرير خصوصيته واستقلاله عن العربي؛ فوجدنا دراسات تنطلق في عنوانها من هذه الرموز والموتيفات كالحمامة البيضاء، والحمامة والسنونو، وتبحث كيفية تشكل النصوص في ضوئها، مع الأخذ بالحسبان مرجعيتها الدينية بالدرجة الأولى.

ومن ظواهر التلقي في هذه الدراسات بروز أفق التوقع وخيبة الانتظار وحضور التأويل، باعتبارها دلائل تكوين ثقافي لدى القارئ الذي أبان في غير موضع كيف أن الشاعر العبري خالف الأفق التاريخي والثقافي وكسره، سواء في بنية القصيدة أو السياقات المحيطة بها. كما كان للتأويل دور في إثراء القراءات وحل إشكالات النص الشعري في تناقضه وغموضه ورمزيته.

المراجع

أولًا: العربية

إبراهيم، نبيلة، "القارئ في النص، نظرية التأثير والاتصال"، (ترجمة فؤاد كامل)، مجلة فصول، المجلد ٥، العدد ١، ١٩٨٤، ص ص ١٠١-١٠٨.

إسماعيل، سامي، جماليات التلقي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢.

توفيق، سعيد، الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٢.

الخالدي، خالد يونس، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، الطبعة الإلكترونية الأولى، ٢٠٠٨. https://www.academia.edu/42865553

خضر، ناظم، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، عمان: دار الشروق، ١٩٩٧.

سحلول، حسن مصطفى، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

صالح، بشرى، نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١١.

قطوس، بسام، تمنع النص متعة التلقي، قراءة ما فوق النص، عمان: أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.

محمد سكر، إكرام، "لمحات من التصوف الإسلامي في الشعر الديني العبري الأندلسي، دراسة في شعر موشيه بن عزرا"، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، ع ٢٦، ٢٠٠٩، ص ص ٣٥٥-٤٣٣.

الواد، حسين، "من قراءة النشأة إلى قراءة التقبل"، مجلة فصول، المجلد ٥، العدد ١، ١٩٨٤، ص ص ١٠٨-١٢٠.

ثانيًا: المترجمة

إيزر، فولفغانغ، فعل القراءة، تر: جميد لحمداني والجلالي الكدية، الدار

البيضاء: النجاح الجديدة، ١٩٩٥.

بارت، رولان، لذة النص، تر: محمد البقاعي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨.

هولب، روبرت، نظرية التلقي، تر: عز الدين إسماعيل، جدة: النادي الأدبي، ١٩٩٤.

ياوس، روبيرت هانس، نحو جمالية للتلقي، تر: محمد مساعدي، المغرب: مركز الأبحاث السيميائية والدراسات الثقافية، الطبعة الإلكترونية، ٢٠٢٠.

ثالثًا: الأجنبية

Brann, R. "Reflexiones sobre el árabe y la identidad literaria de los judíos de al-Ándalus." En *Judíos y musulmanes en al-Ándalus.* Actas reunidas y presentadas por M. Fierro. Madrid: Casa de Velázquez, 2002, 13-28.

Bright, James W., "The *'ubi sunt'* Formula,". *Modern* , 1893, p. 94.) 3(*Language Notes* 8.
https://www.jstor.org/stable/2918652#metadata_info_tab_contents

Labrat, Dunash ben. *Dunash ibn Labrat. Shirim.* Hebrew edition N. Allony. Jerusalem: Mosad ha-Rav Kook, 1947.

Targarona Borrás, Judit; Sáenz-Badillos, Ángel (eds.). .Poesía hebrea en al-Andalus. Granada, 2003

References :

alearabiat walmutarjama

'iibrahim, nabilati, "alqari fi alnas, nazariat altaathir waliatisali", (tarjamat fuaad kamli), majalat fusuli, almujalad 5, aleadad 1, 1984, s s 101-108.

'iismaeil, sami, jamaliaat altalqi, alqahiratu: almajlis al'aelaa lilthaqafati, 2002.

'iizir, fulfghanghi, fiel alqira'ati, tur: jamid lihamdani waljalaliu alkidyatu, aldaar albayda': alnajah aljadidatu, 1995.

barti, rulan, ladhat alnas, tur: muhamad albiqaei, alqahirati: almajlis al'aelaa lilthaqafati, 1998.

twfiqa, saeid, alkhibrat aljamalia (dirasat fi falsafat aljamal alzaahiratiati), bayrut: almuasasat aljamieiat lildirasat walnashri, 1992.

alkhalidi, khalid yunus, alyahud taht hukm almuslimin fi al'andilsi, altabeat al'iiliktruniat al'uwlaa ،2008. https://www.academia.edu/42865553

khadr, nazimu, al'usul almaerifiat linazariat altalqi, eaman: dar alshuruq, 1997.

sahluli, hasan mustafaa, nazariaat alqira'at waltaawil al'adabii waqadayaha, dimashqa: atihad alkitaab alearabi, 2001.

salih, bushraa, nazariat altalqi, 'usul watatbiqati, aldaar albayda'i: almarkaz althaqafia alearabia, 2011.

qutusu, bisam, tamnae alnasu muteatan altalqi, qira'at ma fawq alnas, eaman: 'azminat lilnashr waltawziei, 2002.

muhamad sakr, 'iikrami, "lamihat min altasawuf al'iislamii fi alshier aldiynii aleibrii al'andilsi, dirasat fi shier mushih bin eazra", majalat kuliyat aladab bijamieat hulwan, e 26, 2009, s s 355-433.

hulba, rubirta, nazariat altalqi, tur: eizi aldiyn 'iismaeil, jidat: alnaadi al'adbi, 1994.

alwad, husayn, "min qira'at alnash'at 'iilaa qira'at altaqabuli", majalat fusuli, almujalad 5, aleadad 1, 1984, s s 108-120.

yaws, rubirt hansi, nahw jamaliat liltalqi, tir: muhamad musaeidi, almaghribi: markaz al'abhath alsiymyayiyat waldirasat althaqafiati, altabeat al'iiliktruniati, 2020.

https://shortest.link/boMF